

لماذا التنافر بين المؤمنين!

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه، ولا يعده عدة فيخلفه»^(٢).

ونرى مع كل أسف أنّ الظنّ السيّء قد ساد فيما بين رافعي شعار الولاء والإيمان، إلى درجة أنّ التنافر وانعدام أو ضعف الإلفة أصبح منتشراً إلى حدٍّ مخيف. رغم أنه ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إنّ المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن الظمآن إلى الماء البارد»^(٣).

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام: «لكلّ شيء شيء يستريح إليه. وإنّ المؤمن يستريح إلى أخيه كما يستريح الطائر إلى شكله»^(٤).

الآخ ذخيرة الدنيا والآخرة: مؤالفة المؤمنين والسعي لاكتساب ودّهم من المسائل التي ندب إليها المأثور. فقد ورد في وصايا لقمان الحكيم لابنه: «يا بني، اتخذ ألف صديق، والألف

يصل المرء إلى خلاصة مرّة، وهي أنّ حال الإلفة والمحبة والتوادّ المرجوة والمتأمّلة قليلة ونادرة. وأنّ المعايير النفعية والآنية القائمة على النظرة الفردية المحضة قد أخذت طريقها في احتكام الناس إليها واعتمادهم عليها في علاقاتهم فيما بينهم. ترى حزن أحدهم ليس حزناً لأخيه، وفرح أحدهم ليس فرحاً لآخر، ترى كل فرد يغوص في خصوصياته وشؤونه الشخصية البحتة، ولا يعنيه كثيراً، ما الحال الذي بات عليها أخوه، والشأن الذي أصبح عليه. مع أنّ إمامنا الذي تنتسب إليه جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، يقول كما ورد عنه: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد. إنّ اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده، وأرواحهما من روح واحدة»^(١).

ونجد أنّ التناصح والتراشد باتت عملة نادرة في أوساط مجتمعنا، مع أنه ورد في الحديث

محاور الموضوع الرئيسية:

١. واقع الحال.
٢. الأخ ذخيرة الدنيا والآخرة.
٣. العداوة محبطة للأعمال.

الهدف:

تسليط الضوء على حال العلاقة بين المؤمنين، ثم إظهار الحفاظ على الصداقات على أسس صحيحة، ثم بيان وخامة الخصومات والعداوات في الدنيا والآخرة.

تصدير الموضوع:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إخوان الصدق في الدنيا خير من المال يأكله ويورثه. لا يزدادن أحداً في أخيه زهداً، ولا يجعل منه بديلاً إذا لم ير منه مرفقاً أو يكون مقفوراً من المال»^(١).

(١) كتاب الزهد للحسين بن سعيد الأهوازي، ص ٣٧، ح ٩٨.

واقع الحال:

في نظرة المتأملين إلى حال بيئتنا، وإلى علاقة الأفراد من رافعي شعار الولاء والإيمان،

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٦، ح ٣.

(٣) كتاب (النوادر) للقطب الراوندي، ص ٨.

(٤) العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٢٣٤، ح ٣٠.

(١) محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي،

ج ٢، ص ١٦٦، ح ٤.

إليه يصعد الكلم الطيب

الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قال المؤمن لأخيه أف، خرج من ولايته. وإذا قال: أنت عدوي، فقد كفر أحدهما، لأنه لا يقبل الله من أحد عملاً في تثريب على مؤمن نصيحة، ولا يقبل من مؤمن عملاً وهو يضر في قلبه على مؤمن سوءاً. ولو كشف الغطاء عن الناس فنظروا إلى ما وصل ما بين الله وبين المؤمن، خضعت للمؤمن رقابهم، وتسهلت لهم أمورهم، ولانت لهم طاعتهم»^(٩).

والحديث ينقله أبو حمزة الثمالي صاحب دعاء السحر المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي. والخلاصة التي نحصلها ويمكن أن نتفعا في هذا المقام، هي: أن اتخاذ الصديق واستكثار الإخوة، واصفاءهم الودّ من العوامل التي تعين وتنفع في الدنيا وفي الآخرة.

وإنّ معاداة المؤمنين والنفور منهم، وبثّ الفرقة والجفاء معهم، هو من العوامل الباعثة على الذلّ والضعف والشعور بالوحدة والغربة في الدنيا، ومن محبطات الأعمال والخسران والخلود في النار في الآخرة.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «أكثرُوا من الأصدقاء في الدنيا؛ فإنهم ينفعون في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا؛ فحوائج يقومون بها؛ وأما في الآخرة: فإنّ أهل جهنم قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»^(٧).

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «أكثرُوا من الإخوان، فإنّ ربكم حييّ كريم، يستحيي أن يعذب عبده بين إخوانه يوم القيامة»^(٨).

العداوة محبطة للأعمال:

كما أنّ للصدقة آثارها في الدنيا والآخرة كما رأينا، فإنّ للعداوة آثارها كذلك: في الدنيا، فإنها تزرع الضغينة والكراهية والبغضاء، وتفرّق بين المؤمنين وتجعلهم على خلاف ما تقتضيه حقيقة الإيمان.

وفي الآخرة، فإنها تجعل صاحبها يخسر كل رهاناته التي يبينها على سعيه ودأبه في سبيل تحصيل الأجر والثواب من الأعمال الصالحة، فإنّ التنافر والتعادي تحبط عمل المؤمن، ويرى حسرته في ذلك يوم القيامة. وفي الحديث عن

قليل. ولا تتخذ عدواً واحداً، والواحد كثير»^(١).

وقد ورد نظيره شعراً يُنسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

عليك بإخوان الصفاء فإنهم عمادٌ إذا استنجدتهم وظهورٌ وليس كثيراً ألف خلٍّ وصاحب وإنّ عدواً واحداً لكثير»^(٢)

وفي الحديث المروي عن رسول الله ﷺ: «استكثروا من الإخوان، فإنّ لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة»^(٣).

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بإخوان الصدق، فإنهم مُدّة عند الرخاء، وجُنّة عند البلاء»^(٤).

وعن رسول الله ﷺ: «عليك بإخوان الصدق، تَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ زِينَةُ فِي الرِّخَاءِ، وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ»^(٥).

وفي تفسير قوله تعالى حكاية عن أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ»^(٦).

(١) كتاب (الأمالي) للشيخ الصدوق، ص ٧٦٦، ح ١٠٣٢.

(٢) كنز الفوائد لأبي الفتح الكراكي، ج ١، ص ٩٨ والديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام، ص ٢٠٧.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي، ح ٢٤٦٤٢ ومصادقة الإخوان للشيخ الصدوق، ص ١٥٠، ح ١، بدون عبارة. (يوم القيامة).

(٤) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني، ص ٣٦٨.

(٥) كنز العمال، ح ٢٤٨٢٣.

(٦) سورة الشعراء، الآيات: ١٠٠-١٠١.

(٩) كتاب (المؤمن) للحسين بن سعيد الأهوازي، ص ٧٢، وكتاب (المحاسن) للبرقي، ج ١، ص ١٨٤، والكافي/ ج ٨، ص ٢٦٥.

(٧) مصادقة الإخوان، ص ١٤٩، ح ١.

(٨) الزمخشري في كتاب (ربيع الأبرار

ونصوص الأخبار)، ج ١، ص ٤٢٨.